إسهام د.منى أبو الفضل في مجال التأصيل لدراسات المرأة من منظور حضاري إسلامي

د.أماني صالح(*)

تقديم :

في مارس من عام 1999، أُعلن الميلاد الرسمي لجمعية دراسات المرأة والحضارة، التي كانت -رغم ما اعتراها من عثرات- تجربة فريدة بحق في مجال دراسات المرأة المسلمة... إن القيمة الكبرى لتلك التجربة تكمن في كونها **مشروعًا فكريًّا أصيلًا**، وهو اتجاه شديد الندرة في العالم العربي في ظل غلبة الطابع الخدمي على العمل النسوي العربي، أو اتجاه الجمعيات والمؤسسات المعنية بالبحوث والدراسات إلى مجال الدراسات والمسوح التطبيقية في إطار من القبول والتبعية المطلقة لبنية المفاهيم والنظريات وحتى البرامج التي قدمتها المدارس النسوية الغربية خاصة تلك الرزمة التي تعتمدها الأمم المتحدة في مواثيقها الخاصة بالمرأة.

في هذا السياق، نشأت جمعية دراسات المرأة والحضارة وقدمت طرحًا فريدًا وأصيلًا على صعيد الرؤى والاقترابات، تتجلى أصالته في العمل معمقًا حتى جذور الفكر ذاته ممثلًا في البارادايم والاقتراب المعرفي للقضايا من خلال تقديم اقتراب أصيل ينبع من هذه المنطقة بثقافتها ورؤاها وليس من خارجها...

ومما لا شك فيه أن الإسهام الفكري للجمعية يدين للإطار النظري الذي وضعته الأستاذة الراحلة منى أبو الفضل وهو **"المنظور الحضاري الاجتماعي"** [1].

بل يمكن القول إن تجربة جمعية دراسات المرأة والحضارة كانت مرحلة متميزة في التطوير النظري والإثبات التطبيقي لجدارة هذا المنظور، وكانت د.منى أبرز مؤسسيه، فكما قدم المنظور الحضاري إطارًا نظريًّا حقق للإنتاج الفكري للجمعية فرادته، فقد

(*) مدرس العلوم السياسية جامعة مصر الدولية.

(1) للتعرف على فكرة عامة حول أبعاد وتطور المنظور، انظر: فاطمة حافظ، "منى أبو الفضل ومعالم رؤية نسوية بديلة"، على **موقع إسلام أون لاين الإلكتروني، باب شرعي**، تاريخ النشر: الأحد 5 أكتوبر، 2008.

obeikan.com

أسهمت الدراسات التطبيقية التي قدمتها الجمعية في تقديم رافد مهم للتغذية الاسترجاعية لترشيد وتطوير المنظور.

*** الأبعاد الاستراتيجية لمشروع دراسات المرأة والحضارة:**

منذ بداية تأسيسها لمشروع دراسات المرأة والحضارة، وضعت د.منى أبو الفضل هدفًا استراتيجيًّا طموحًا للمشروع وهو: **تأسيس حقل علمي أكاديمي لدراسات المرأة المسلمة**. لم يكن تأسيس هذا المشروع الطموح بالأمر الهين؛ فقد ارتكن إلى منظومة هرمية متدرجة من الركائز والقواعد النظرية تشكل في إجمالها إطارًا لهذا الحقل الدراسي المأمول: تتشكل هذه المنظومة على النحو التالي: **المعرفة التوحيدية كإطار إبستومولوجي، والمنظور الحضاري كاقتراب استراتيجي، وتفكيك ثم إعادة بناء المفاهيم الحضارية، وأخيرًا: بناء الأنساق القياسية.**

أولاً المعرفة التوحيدية كإطار إبستومولوجي:

ترى د.منى أبو الفضل أن أي مشروع حضاري -لا سيما إذا كان مشروعًا فكريًّا- لا بد وأن يبدأ من المستوى المعرفي. وإذا كان للحضارة العربية الإسلامية أنْ تطرح اقترابًا إبستومولوجيًّا فهو ما أسمته **بالمعرفة التوحيدية** التي تجمع القواعد والقيم الأساسية التي جاءت بها الأديان التوحيدية، والتي تمثل المعرفة النقيضة والبديلة لنسق معرفي مقابل هو المنظومة المعرفية المادية التي قدمها الغرب المعاصر.

إن أهم ما يميز **المعرفة التوحيدية** كونها تضم إلى جانب أسس وقواعد المعرفة نسقًا من **القيم والمعايير**، والوعي بهذا الأساس المعرفي يؤدي **وظائف** مهمة جدًا لأي إنتاج معرفي:

فهي تحدث التماسك واللحمة غير المنظورة لكل الإنتاجات الحضارية النابعة منها، كما تعطي تلك البصمة المميزة المشتركة لكل منتوجات الحضارة الواحدة [1].

يعني استبطان المنظومة التوحيدية في العمل الفكري وعيًّا بجذور ومنطلقات المعرفة في هذه المنطقة الحضارية يجنبها الوقوع أسيرة للأسس الفلسفية والمنطلقات غير

(1) انظر: د.منى أبو الفضل، تعقيب على ملف العدد والحلقة النقاشية: **" نحو منظور حضاري لقراءة سيرة وتاريخ المرة المسلمة "**، في **دورية المرأة والحضارة**، العدد الثاني، ربيع أول 1422هـ-2001م، ص 159.

المنظورة للدراسات والمفاهيم الغربية السائدة والتي لا يمكن رصدها بوضوح في المفاهيم النهائية الجاهزة لتلك الدراسات لأنها تكمن هناك في جذور ذلك النبت.

ومن تلك المنطلقات الفلسفية العميقة غير المصرح بها (**مثل رفض الحقيقة الدينية وقضية الإيمان، والاعتقاد بأفضلية العنصر الأوروبي الأبيض، والنظرة المادية للوجود كقواعد معرفية أساسية في الفكر الغربي**) نبتت الانحيازات النهائية للفكر الغربي. إن الوعي الفكري بالأسس المعرفية للذات والفروق المعرفية، مع المقابل أو الآخر الحضاري، يجنب أي عمل فكري أو دراسي تلك التشوهات الناجمة عن التناقض بين الأسس المعرفية للمفاهيم المستخدمة في الثقافة المعاصرة السائدة وبين الأسس المعرفية للكيان الحضاري الإسلامي الذي يتم تطبيق هذه المفاهيم عليه. وتُرجِع د.منى تلك التناقضات إلى كونها وليدة خصوصية تاريخية معينة لها جذورها الممتدة في المصادر المختلطة للفكر الغربي؛ ما بين وثنيات ولاهوتيات تفاعلت مع مخاض حداثة تشكلت في وعاء الخبرة التاريخية المعينة، مما يستوجب الحذر من التعميمات المفرطة في غير مجال" [1].

ولكن د.منى لا ترى في هذا التحذير المشدد من التعامل البريء مع الفكر الغربي دعوة للعزلة ورفض الآخر كليةً، بل هي دعوة إلى "**ممارسة الوعي النقدي عند النزول إلى مواقع التثاقف عبر الحضارات كما هو في مجالات البحث التاريخي والدراسات الاجتماعية والإنسانية المعاصرة**" [2].

والمحصّلة لكل ما سبق بالنسبة لدراسات المرأة هو تجنيب دراسات المرأة "**الانحراف بالمرأة في مساقات عزلها والافتعال لأدوارها على ما هو عليه الحال في جل الدراسات النسوية السائدة**" [3].

إذا كان ذلك هو ما توفره المعرفة التوحيدية من مزايا على "**الصعيد الدفاعي**" فما هي تلك **القيم الإيجابية** التي يورثها الوعي بالأساس المعرفي التوحيدي للفكر أو الدراسات المنبثقة عنهما؟

(1) **المرجع السابق**، ص 160.
(2) **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.
(3) **المرجع السابق**، ص 159.

شددت د.منى أبو الفضل في مشروعها الخاص بدراسات المراة على أهمية استخلاص الإطار المعرفي وبيان عناصره، وتمثلها في الدراسات التطبيقية كأحد ضرورات البحث الملحة في العصر الحديث. وترى د.منى أنه إذا كان المفكر والعالم المسلم في صدر الإسلام في غير حاجة إلى الفلسفة، حيث كان متوخيًّا أصوله المعرفية من مصادره العقدية " **لأنه عاش وتمثل هذه المعرفية واستنبطها في ظل المناخ والنموذج السلوكي النبوي الذي عرفه آنذاك، فإننا نجد أنفسنا اليوم في موقع التحدي الفعلي والمعرفي الراهن بحاجة لاستكناه واستجلاء هذه المنظومة المعرفية والوقوف لدى تلك الدلالات والمعاني التي استنبطتها الخبرة الإسلامية المبكرة، ليحدث التواصل والاتصال مع مرحلة فصلتنا عنها مساحة من القطيعة المعرفية التي أحدثتها الصدمة الحضارية مع الغرب**" [1].

إن الإطار المعرفي التوحيدي من حيث مصادره **يتميز بوجود أصل ثابت** لا يتغير ولا يسقط بالتقادم وهو القرآن، وهذا من شأنه أن يتيح المجال للتعامل مع الظواهر الحياتية والعمرانية ضمن ناموس التطور والحراك المنضبط المشدود إلى سنن ثابتة فيؤطر للحركة في ظل ثوابت، وللنسبي ضمن **"المطلق"**. في مقابل ذلك، نجد أن "**غياب أصل ثابت في الفلسفات الحداثية السائدة جعل من النسبية المطلق الوحيد، وفتح الباب أمام العبثية والعدم**" [2].

على صعيد آخر، فإن **المعرفة التوحيدية** تهب المعرفة المنبثقة منها خصائصها الأخرى، وأهمها كونها منظومة معرفية مزاجها التوازن والاعتدال؛ "تقول د.منى أبو الفضل أن الدلالة المعرفية للوحي تتمثل "**في جمعه بين ما هو مادي وما هو معنوي على نحو يستعصي على العقل البشري عند إرسائه لفلسفة وضعية من عنديات مستبعدًا البعد الغيبي مما ينتج ذلك إنتاج فلسفات متأرجحة بين أقصى طرف ونقيضه من مادية مفرطة إلى مثالية أو روحانية مغرقة**" [3].

(1) **المرجع السابق**، ص ص 160-161.
(2) **المرجع السابق**، ص 160.
(3) **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

كان ما سبق هو بعض ملامح الوعي المنهاجي الذي سعت الأستاذة الراحلة وشددت على ضرورة استصحابه عند دراسة قضايا المرأة، أو لنقل: هو المستوى الأول في المنظومة الفكرية التي أوصت وسعت إلى غرسها كجذور وركائز لدراسات المرأة في خبرة جمعية دراسات المرأة والحضارة.

ثانيًا: المنظور الحضاري كاقتراب استرتيجي:

منذ بدأت د.منى أبو الفضل في إطلاق مشروعها لتأسيس حقل للتخصص الأكاديمي يعنى بموضوع المرأة وهي تؤكد أن إطارًا فكريًا محددًا يغلف هذا المشروع هو **المنظور الحضاري** تقول: **"يأتي مشروعنا برؤية معرفية مغايرة يسعى من خلالها إلى تأسيس حقل دراسات المرأة من منطلقات حضارية"** [1].

المنظور الحضاري هو مرحلة تالية في تراتبية التعامل الفكري. وهو اقتراب لمعالجة القضايا يستصحب نسق المعرفة التوحيدية إلى جانب الخصائص الأصلية للذات الحضارية، ومن أبرز تلك الخصائص **مفهوم الأمة** كمفهوم جامع للفرد والجماعة ومحدد لأدوار كليهما [2].

إن المنظور الحضاري يطرح نتائج هذه الرؤية بمدخلاتها وافتراضاتها على كل موضوع على حدة، والسؤال: **إذا اقتربنا من موضوع المرأة انطلاقًا من المنظور الحضاري، فما التصور أو القراءة الناتجة عن ذلك لقضية المرأة؟**

على هذا التساؤل تجيب د.منى أبو الفضل بإسهاب في مقدمتها القيِّمة لواحدٍ من أهم مشروعات جمعية دراسات المرأة والحضارة وأكثرها تكاملًا وهو ببليوجرافيا **"المرأة العربية والمجتمع في قرن"**...

إن **أهم تداعيات توظيف الاقتراب أو المنظور الحضاري في دراسة موضوع المرأة** هو التعامل أو **المعالجة التكاملية على أكثر من مستوى:**

---

(1) انظر: مجموعة من الباحثات، **المرأة العربية والمجتمع في قرن: تحليل وببليوجرافيا للخطاب العربي حول المرأة في القرن العشرين**، (دمشق: دار الفكر، 2002)، ص 12.

(2) حول هذا المفهوم انظر: د.منى أبو الفضل، **"الأمة القطب: في السيرة والمفهوم"**، **مجلة الرشاد**، العدد 12، أغسطس 2001 م. وأيضًا: د.منى أبو الفضل، **"نحو تأصيل منهاجي لمفهوم الأمة في الإسلام"**، **قضايا إسلامية معاصرة**، العدد الثاني، 1998 م، ص ص 11-42.

أ- النظر لقضية المرأة –على خلاف ما يراه البعض- **كقضية محورية ينعكس فيها واقع المجتمعات المسلمة بخصائصه وأزماته** ومنها المواجهة والتفاعل مع تيارات العولمة. لقد حرصت د.منى أبو الفضل على تقليص المدخل النوعي لقضية المرأة الذي كان سائدًا تقليديًّا في الفكر العربي إزاء قضية المرأة؛ كمدخل لتهميش هذا الخطاب وتقليل أهميته قياسًا بالقضايا والخطابات الكبرى على الساحة العربية. وهو ما أشارت إليه بقولها إنها تطمح من خلال مناقشة قضايا المرأة **" لتقديم رؤى مغايرة لما درجت عليه أعراف الخطاب العام من اعتبار الأمور الجسام أمورًا تستوي عندها المسارات والمصائر وترهنها بالأحداث التاريخية الكبرى وبما يدور في محافل السياسة وملحقاتها من شئون تمس الحكم... إن المسائل التي تندرج ضمن قضايا المرأة هي في أحيان كثيرة من الأمور التي تتقاطع في التحام وتواصل مع جل حياة الأمة وذلك في واقع لم تعد فيه الفواصل بيّنة بين العام والخاص"**[1] .

شرحًا لتلك **الرابطة العضوية بين قضية المرأة وقضايا الأمة**، رأت د.منى أبو الفضل أن قضية المرأة لا يمكن فهمها بشكل منفصل عن قضايا أمتها، فهي بمثابة **"بصمة"** أو **"خلية تحمل كل العناصر الوراثية لأمتها"** من خصوصيات وعناصر قوة وضعف وقابليات التغيير في الكيان الأم، شأنها في ذلك شأن كل القضايا الحيوية؛ تقول في سياق التعليق على خطاب المرأة في عصر النهضة مطلع القرن العشرين - والذي مثل أحد اهتماماتها الكبرى- إن الخطاب حول المرأة في تلك المرحلة" **جسد الأطراف التي عنيت والإشكاليات التي طرحت آنذاك وما ولده التساؤل في وضعية المرأة من تنازعات بين بين أنساق معرفية موروثة ووافدة"** [2] .

لقد كان مشروع الببليوجرافيا -الذي قدّم مسحًا واسع النطاق للخطاب الخاص بالمرأة **(عنها ومنها)** من خلال ما يزيد على ثلاثة آلاف عنوان على مدى ما يربو على مائة عام- نموذجًا بينًا على تلك الفكرة، وهذا ما أوضحته د.أبو الفضل في تقديمها للمشروع بقولها: **"تخرج بنا تلك الرؤية التي ولجنا بها لهذا الثبت في إطار مشروعنا**

(1) انظر: مجموعة من الباحثات، المرأة العربية والمجتمع في قرن، **مرجع سابق** ، ص 10 .
(2) **المرجع السابق**، ص 10 .

الفكري إلى آفاق أوسع مرتبطة بمراجعة الفكر العربي المعاصر في مجمله وما اعتراه من لحظات إقدام وانكسار حتى وصوله للمرحلة الحالية من تأزم واستقطاب، وتصير مسألة المرأة في مشروعنا فرصة ملائمة لإثارة القضايا الكبرى المرتبطة بتشكلات الخطاب العربي/ الإسلامي ومآلاته ومسيرة الأمة نحو غاياتها" [1] .

ب- مضت د.منى إلى خطوة أبعد في تأكيد محورية قضية المرأة؛ حيث رأت أن قضية المرأة لا تحتاج من أجل استيعابها إلى فهم سياقاتها وعلاقاتها بقضايا الأمة فحسب، بل إنها تعد **مدخلًا من مداخل فهم وإصلاح الكيان الأشمل، وسبيلًا للتطوير وإعادة الإنتاج على المستوى النظري الأعم**.

إن الخروج من الخاص الطارئ على فكر العالمة منى أبو الفضل (**قضية المرأة**) إلى العام الأصيل في اهتمامها (**قضايا الأمة وإصلاحها**) هو أحد المعالم الأساسية التي حكمت فكرها في قضية المرأة.

تقول: "جاءت مدرستنا الفكرية لتقف على هذه الثغرة، لتتحول من مستهلكي فكر إلى مؤسسين ومبدعين، واتخذنا من التأصيل لحقل دراسات المرأة المسلمة مدخلا لذلك، فكان البحث في سيرة المرأة هو الفرصة السانحة لتعميق الوعي بأطرنا المنهاجية والمعرفية من خلال إعادة كشف مصادرنا الفكرية، ما بين مصادر التأسيس(**القرآن والسنة**) ومصادر التراث (**المنتج الحضاري**) [2] .

رأت د.منى أنها بهذا المنحى تحذو أو تحاكي تلك التجربة المقدرة للمنظر العربي الكبير ابن خلدون الذي بدأ بهدف استقراء الحدث في تدوين علم التاريخ لينتهي إلى مقدمته الفذة التي أصلت لحقل علم العمران الحضاري. لقد ظلت الخلاصات العامة واستقراء المعاني والدروس العامة منزعًا أصيلًا في معالجتها التي كانت تأتي دائمًا استخلاصًا للمشروعات التطبيقية التي تقوم بها الجمعية، والتي كانت غالبًا ما تبدو في رؤية المنظرة منى أبو الفضل بمثابة دراسات حالة تستدعي بالضرورة الخروج

(1) **المرجع السابق**، ص ص 10-11.

(2) د.منى أبو الفضل، "نحو منظور حضاري لقراءة تراجم وسير النساء"، العدد الثاني من مجلة المرأة والحضارة، **مرجع سابق**.

بدلالات حول قضايا فكرية وعمرانية وحضارية أوسع تخص الأمة بأسرها. هكذا فعلت العالمة أبو الفضل بشكلٍ أولي في مقدمتها لمشروع الببليوجرافيا الذي رأت أنه **يعيد اكتشاف المنظور الحضاري الذي انبثق منه ويرتد عليه بمردودات نظرية ارتجاعية أبرزها تأكيد تناول الظواهر في سياقاتها دونما اقتطاع أو تجزيء:** "وتمثل ذلك في بابين للسياقات: باب موصول يتعلق بالتقاليد الفكرية والفلسفية التي لها جذور في التراث العربي الإسلامي، وباب آخر مصقول يتعلق بالاستفادة من سياقات العصر" **بما تحمله من خبرات ومدركات اشتملت في جملة ما اشتملته على واقع ارتقاء السقف المعرفي في العلوم الحديثة. من هنا كان لا بد أن ينعكس ذلك في الوعي المنهاجي الذي يفصِّل ويؤصل للمنظور الحضاري"** [1].

لقد عبرت د.منى عن فكرتها الأصيلة في الترابط الموضوعي الذي يتفاعل في اتجاهين (**من وإلى**) **قضايا المرأة والأمة** عبرت عنه رمزيًّا في وصفها المرأة بأنها **"أمًا وأمة"** وشرحت هذا المجاز بأن المرأة كانت دائمًا **"عنصر التواصل بين أجيال وعبر أجيال تحقيقًا لصلات الرحم والتراحم..."**. تستطيع المرأة – إذا صلحت – أن تكون عنصر بناء وعمارة تدعم من قيمة عليا في الإسلام وهي قيمة الوحدة ولم الشمل ورأب الصدع" [2].

ج- إن المنظور الحضاري في مقام ثالث يوفر "لحقل دراسات المرأة **ناظمًا يؤطر له ويحقق له ما يفتقر إليه من الأنساق والتماسك الداخلي"** [3]. وهذه قيمة تبرز من خلال نقد حقل دراسات المرأة في الغرب، فهو حسب الدكتورة أبو الفضل **"وإن كان يمتد بامتداد فروع العلم ومجالاته، لكنه يتسم بالتشتت والتناثر ويفتقد لناظم يقوم بضبطه ويتعامل مع الأبعاد المتعددة منه بالطريقة التي تؤلف بينها"**. من هنا يأتي المنظور الحضاري ليسد ثغرة مهمة، إذ يتيح **"التعامل مع قضايا المرأة وإشكالياتها في إطار جامع يصل بين الأبعاد العمرانية المتداخلة لأجل فهم أشمل لتلك الإشكاليات"** [4] بهذا يقدم

(1) انظر: مجموعة من الباحثات، المرأة العربية والمجتمع في قرن، **مرجع سابق**، ص 15.

(2) د.منى أبو الفضل، "نحو منظور حضاري لقراءة تراجم وسير النساء"، العدد الثاني من مجلة المرأة والحضارة، **مرجع سابق**، ص 165.

(3) انظر: مجموعة من الباحثات، المرأة العربية والمجتمع في قرن، **مرجع سابق**، ص 15.

(4) **المرجع السابق**، ص 14.

المنظور الحضاري إضافة مهمة للتعامل الفكري في قضية المرأة بصفة عامة. من شأن هذه الإضافة أن تضفي الأبعاد المفتقدة في الحقل فتدعم من إيجابياته في الوقت الذي تنأى فيه عن نهاياته التفكيكية والعدمية التي انتهت إليها المدارس والدراسات النسوية الغربية على اختلاف خلفياتها العلمية وأنسابها بين فروع العلم ومدارس الفكر المختلفة".

ثالثًا – تفكيك ثم إعادة بناء المفاهيم الحضارية:

إن هذه المَهمة واحدة من أبرز المهام التي يتطلبها بناء المنظور الحضاري، وهي مرحلة تجمع بين النظرية والتطبيق، حيث إن كثيرًا من المفاهيم ترتبط بالحقول والمجالات التطبيقية للبحث. وقد قدمت د.منى بعض مبادرات أولية في مجال بناء المفاهيم في دراسات المرأة المسلمة مثل مفاهيم **"وحدة النفس الإنسانية"** والولاية[1]. وانطلقت في ذلك من نقد المفاهيم الأساسية السائدة في الدراسات النسوية مثل مفهوم السلطة، ومفهوم المساواة.

واستند منهج د.منى أبو الفضل في بناء المفاهيم على عدة قواعد استفادت الباحثات منها **في دراساتهن التطبيقية وهي**:

- تحليل أبعاد المفهوم القائم إلى عناصره الأولية.
- تحليل أصول ومصادر وأنساب المفهوم والتمييز بين المصادر الأصلية (**خاصة المصدر القرآني**)، والمصادر التاريخية الثقافية مثل العرف والاجتهادات.
- إعادة تركيب وبناء المفهوم استنادًا إلى المصادر الأصلية من خلال تحديد الحقل المفاهيمي (**يشمل المفهوم ذاته في النص القرآني أو المفاهيم ذات الصلة القريبة والبعيدة به**).
- بعد توضيح دلالات المفهوم عن طريق الإثبات من المصادر الأصلية، يتم توضيح دلالات المفهوم عبر النفي والمقارنة مع المفاهيم المقاربة أو الموازية في النسق الحضاري المقابل وهو النسق الغربي [2].

(1) انظر: فاطمة حافظ، **مرجع سابق**.

(2) انظر المرجع السابق وأيضًا: د.منى أبو الفضل، **"نحو منظور حضاري لقراءة تراجم وسير النساء"**، العدد الثاني من مجلة المرأة والحضارة، **مرجع سابق**، ص ص 162 – 163.

رابعًا- بناء الأنساق القياسية:

مثلت عملية بناء الأنساق القياسية جزءًا محوريًّا في تطبيق المنظور الحضاري لدى د.منى أبو الفضل. فبعد **"غربلة"** المفاهيم الأساسية من خلال التفكيك وإعادة البناء، يتم استخدام تلك المفاهيم كوحدات لبناء النسق القياسي.

والنسق القياسي في فكر المنظرة منى أبو الفضل ليس بناءً **"مثاليًّا"** طوبويًّا مفارقًا تمامًا للواقع على النحو الذي يعرفه الفكر الازدواجي الغربي **(ثنائية المثال والواقع)**، فالنسق القياسي يعني التطبيق الواقعي النقي للمصادر المنزلة على صعيد المبادئ والقيم وقواعد السلوك. لذلك نجد تطبيقاته التاريخية حاضرة أحيانًا بشكل مركز في صدر الإسلام، وأحيانًا أخرى بشكل متفرق على مدى التاريخ الإسلامي.

يؤدي النسق القياسي وظائف مهمة في الدراسات المنطلقة من المنظور الحضاري؛ فهو ينفي عن الواقع التاريخي صفة القداسة وكونه مصدرًا خالصًا وحيدًا للتأسيس والتنظيم على النحو الذي ينتهجه الفكر الغربي الوضعي. يخلق النسق القياسي نوعًا من الصلة الواضحة غير المنكرة في الفكر الإسلامي بين العلم والأخلاق خلاف المعرفة الغربية التي تتحدث عن الموضوعية وتضمر الانحياز. من جانب ثالث، فإن أداة النسق القياسي تعطي بعدًا إصلاحيًّا للعملية المعرفية من خلال الكشف عن مناطق **"السوية"** و**"الانحراف"** وبذلك يضفي وظيفة اجتماعية للعلم تدخله في إطار مفهوم **"العلم النافع"** المعتبر إسلاميًّا.

لقد طبقت د.منى أبو الفضل رؤيتها الخاصة بشأن إعادة بناء المفهوم والنسق القياسي في العديد من المجالات وجاء أبرز تطبيقاتها في مجال دراسات المرأة في العدد الثاني من مجلة المرأة والحضارة الذي قدمت فيه رؤيتها **للسيرة والتاريخ** باعتباره الأرضية النظرية للعدد الذي دار حول تاريخ وسيرة النساء. ومن أهم أبعاد هذا النسق القياسي للتاريخ أو القواعد والاقترابات اللازمة لقراءته في إطار المنظور الحضاري **الآتي:**

- إن التاريخ، كما يُستمد من المنظور القرآني، ليس تاريخًا للأفراد؛ بل تاريخ وسير للأمم، وهو تاريخ للتفاعل بين حركة الفرد ومصيره مع مسار الأمة ومصيرها. ورغم

أن للفرد موقعه في تاريخ الأمة، إلا أنه ليس محددًا له. تضرب د.منى مثالًا لذلك بأكثر العلوم العربية ارتباطًا بالفرد، وهي كتب الطبقات، فتشير إلى أنها لم تكن تهدف إلى تمجيد الأفراد في ذاتهم، بل جاءت في إطار علم الجرح والتعديل لخدمة العقيدة ومصادرها وتحري الضبط والصدق والأمانة والموضوعية في التراث العلمي خاصة علم الحديث.

- إن التاريخ الإسلامي، أو **"سيرة الأمة"**، يستند إلى معادلة **"الغيب والشهادة"**؛ بمعنى أنه إلى جانب الفاعلين الظاهرين هناك فاعل غير منظور يحرك الفعل التاريخي ويقع خارج النطاق البشري.

- إن قراءة التاريخ الإنساني وتقويم الفعل الإنساني ينبغي أن يتم في إطار قيم معينة هي: الفاعلية Agency والأخلاقية Morality والمسئولية Responsibility. وتنبع هذه القيم من إعطاء معانٍ جديدة للحياة والحركة الإنسانية تتعلق برؤية الإسلام وتقييمه للنفع والصلاح العملي، واشتراط المقاصد، وإدخال بعد الحساب ثوابًا وعقابًا، وامتداد مفهوم الحياة إلى حياة اخرى.

- إن مفهوم الموضوعية والتحيز في البحث التاريخي وغيره في الإطار الإسلامي يختلف كليًّا عن المعنى الذي يتخذه في المنظومة المعرفية الحداثية؛ فالمفهوم في الأخيرة قام على التمييز والمفارقة والاستشكال بين المجال الفعلي والبعد الأخلاقي.

لقد شكّل ذلك الإطار الفكري والمنهاجي الذي صاغته د.منى أبو الفضل **إطارًا لفكر ودراسات جمعية المرأة والحضارة** وواحدًا من أبرز معالم تميز وفرادة تجربتها التي نبعت من تجاوزها للتبعية سواء للفكر الغربي أو الفكر التراثي، ومحاولة تقديم تجربة فكرية أصيلة لدراسات وقضايا المرأة قائمة على العقل النقدي والإبداع الملتزم بمنهج الأمة وقضاياها. على ضوء هذه الرؤية، وفي إطارها، يمكن قراءة خبرة جمعية دراسات المرأة والحضارة وإسهاماتها في مجالات: حقل مسح البيانات (**مشروع الببليوجرافيا**)، وحقل التاريخ والسيرة (**العدد الثاني من دورية المرأة والحضارة**)، وحقل الخطاب (**العدد الثالث من دورية المرأة والحضارة وندوة عائشة عبد الرحمن: خطاب المرأة أم خطاب العصر**).

وإذا كان المرض والفناء قد غيَّب جسد المفكرة منى أبو الفضل، فإن فكرهـا بـاقٍ بقاء أي فكر أصيل أنتجه علماء هذه الأمة، جدير بأن ينهل منه كل من يحلمون بالنهضة والتجديد الحضاري وعودة الكرامة والذات واسـتئناف دور هـذه الأمـة في الإسـهام النشط في ارتقاء البشرية... نعم هو من مورد... فهل من واردين؟!

obeikan.com